منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي
(٧٦٦-٨٤٥هـ/١٣٦٤-١٤٤٢م)
كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" نموذجاً
دراسة تاريخية (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د. منى بنت يوسف بن أحمد الحجاجي
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
كلية التربية بالخرج – قسم العلوم الاجتماعية
وزارة التعليم– المملكة العربية السعودية

الملخص:

تميز القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بظهور عدد من المؤرخين الذين اتسمت مؤلفاتهم بالموسوعية؛ ويأتي في مقدمتهم المؤرخ المقريزي؛ حيث يعد كتابه "السلوك" من أهم مصادر تاريخ مصر في عصر الدولتين: الأيوبية والمملوكية، لذا جاءت هذه الدراسة "منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي (٧٦٦–٨٤٥هـ/١٣٦٤–١٤٤٢م)، كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك نموذجًا)" دراسة تاريخية.

أما مصادر الدراسة، فقد اعتمدت على كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" مصدرًا أساسيًّا كما هو موضح في عنوان الدراسة؛ إضافة إلى عدد من المصادر المعاصرة للمقريزي، وبعض الدراسات الحديثة ذات العلاقة بموضوع البحث.

وتضمنت الدراسة ثلاثة مباحث رئيسية؛ حيث اشتمل المبحث الأول على التعريف بالمقريزي، وآثاره العلمية، بينما ركز المبحث الثاني على منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي من خلال كتابه "السلوك لمعرفة دولة الملوك"، وسلط المبحث الثالث الضوء على النقد التاريخي

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٩)، يوليه ٢٠٢٣.

الذي تعرض له المقريزي، إضافة إلى آراء المؤرخين والكُتَّاب فيه، وصولًا إلى الخاتمة التي اشتملت على أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: المقريزي، كتاب "السلوك" لمعرفة دول الملوك، الكتابة التاريخية، مؤرخي القرن التاسع الهجري، النقد التاريخي، منهج الكتابة التاريخية، العصر المملوكي.

Abstract:

The ninth century AH / fifteenth century AD was marked by the emergence of a number of historians whose writings were characterized by encyclopedism. Foremost among them is the historian "Al-Maqrizi"; Where his book "Conduct " is considered one of the most important sources of the history of Egypt in the era of the two states: the Ayyubid and the Mamluk, so this study came "The Historical Writing Approach of Al-Maqrizi (766-845 AH / 1364-1442 AD), the book (the Conduct to Know the Countries of the Kings as a Model)" a historical study.

As for the sources of the study, it relied on the book "the Conduct to Know the Countries of the Kings " as a primary source, as indicated in the title of the study. In addition to a number of contemporary sources for Al-Maqrizi, and some recent studies related to the subject of the research.

The study included three main topics; the first topic included an introduction to Al-Maqrizi and his scientific effects, while the second topic focused on the historical writing approach of Al-Maqrizi through his book "the Conduct to Know the Countries of the Kings". The conclusion included the most important results of the research.

Keywords: Al-Maqrizi, the book "the Conduct to Know the Countries of the Kings", historical writing, historians of the ninth century AH, historical criticism, the method of historical writing, the Mamluk era.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اعتنى المؤرخون المسلمون بالنقد التاريخي عناية فائقة، ومارسوه في معظم كتاباتهم التاريخية، وهذا ما عرضهم للذم من قبل المعارضين لهذا المنهج، وعدوه نوعًا من الغيبة والنميمة، إلا أن ذلك لا يعني أن النقد كان صحيحًا وفي

محله دائمًا، فقد ظهر من ينقد لأهداف خاصة تكمن في شخصية الناقد نفسه، فكانت بعض أهداف الناقد واضحة للعيان، بينما كان البعض الآخر غامضًا، ومن أولئك المؤرخين الذين وجهت لهم بعض التهم – وهي محل جدال– ما وجه للمؤرخ المقريزي، فهو مع كونه من أهم مؤرخي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ونظرًا إلى الأهمية الكبرى لما أنتجه قلمه وفكره للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية؛ فإنه لم يسلم من نقد بعض المؤرخين.

أما أسباب اختيار الموضوع الموسوم بـ (منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي، كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك نموذجًا") ليكون موضوع بحثي؛ فذلك لما له من أهمية في التعرف على أهم مؤرخي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على منهجه، وما تعرض له المقريزي من نقد من قبل المؤرخين المعاصرين له، معتمدة في ذلك على كتاب "السلوك" مصدرًا أساسيًّا، إلى جانب عدد من المصادر الثانوية المعاصرة له[١].

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي اعتمدت عليه الدراسة، فهو المنهج العلمي المتَّبَع في الدراسات التاريخية، المبني على استقراء المادة العلمية وتحليلها بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية، إضافة إلى استخدام المنهج التحليلي الإحصائي المعتمد في الدراسات الحديثة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في إبراز المنهج التاريخي الذي سار عليه المقريزي في تأليف كتابه "السلوك"، ومعرفة أهم السمات التي تميزت بها كتاباته التاريخية والموضوعات التي تطرق إليها، مع إيضاح أهم آراء المؤرخين والباحثين المحدثين في المقريزي، ومحاولة الكشف عن الأسباب الكامنة وراء النقد الذي تعرض له من قبل بعض المؤرخين.

الدراسات السابقة:

ظهرت لدينا الكثير من الدراسات التاريخية التي تتناول منهج المقريزي بشكل عام لا مجال لحصرها هنا؛ ولعل من أبرزها دراسة محمد كمال الدين عز الدين بعنوان (المقريزي مؤرخًا). أما الدراسات التي تناولت منهجه من خلال بعض مؤلفاته؛ فمنها دراسة يسرى أحمد عبد الله زيدان بعنوان (منهج المقريزي في كتابه المقفى الكبير)، ودراسة لخلدون خليل الحباشنة بعنوان (المقريزي ومنهجه في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، ودراسة **أسماء عواد الدوري بعنوان (منهج وموارد تراجم أعيان المقريزي في كتابه درر العقود الفريدة)**، ودراسة سعد موسى الموسى بعنوان **(منهج المقريزي في السيرة من خلال كتابه إمتاع الأسماع)**. وهكذا نجد أن جميع الدراسات السابقة تشابهت مع هذه الدراسة من حيث الموضوع الذي تناولته وهو منهج المقريزي؛ ولكنها اختلفت جميعها في الكتاب محل الدراسة وهو كتاب "السلوك" الذي لم تفرد له دراسة منهجية مستقلة – حسب علمي– سوى مقدمة محققه الدكتور محمد مصطفى زيادة، ودراسات تاريخية عن المقريزي، وهي مجموعة بحوث قدمت للجمعية المصرية للدراسات التاريخية احتفالًا بمرور ست مئة سنة على ميلاد المقريزي، وظهرت في شكل كتاب مكون من ثمانية أبحاث لعدد من الكتاب والباحثين المهتمين بدراسة العصر المملوكي، وكان في طليعتهم الدكتور محمد مصطفى زيادة محقق كتاب "السلوك"، وقد استفدت منها في بعض الجوانب البحثية، إلا أن دراسة منهجية المقريزي من خلال كتابه "السلوك" تحتاج إلى الكثير من التحليل والقراءة، ولعلها تفتح الباب أمام الباحثين في الدراسات العليا إلى موضوع مهم لرسالة علمية تتسم بالجدية والأصالة.

أما الصعوبات التي واجهتني فهي ضخامة كتاب "السلوك"، ووقوعه في أربعة مجلدات؛ حيث إن كتاب "السلوك" أرخ للدولة الأيوبية والمملوكية إلى قبيل وفاة المقريزي (٥٦٩-٨٤٤هـ/١١٧٣-١٤٤٠م)، أي قرابة ثلاثة قرون تاريخية؛ لذلك اقتصر البحث على بعض الشواهد التي تسلط الضوء على منهج الكتابة التاريخية

عند المقريزي في كتاب "السلوك".

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة، وقد اشتمل المبحث الأول على التعريف بالمقريزي، متناولة حياته، وآثاره العلمية، بينما تحدثت في المبحث الثاني عن منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي "كتاب "السلوك" نموذجًا، أما المبحث الثالث فكان عن آراء المؤرخين والباحثين المحدثين في المقريزي، وصولًا إلى الخاتمة التي اشتملت على أهم نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وختامًا أرجو من الله أن تكون هذه الدراسة من العلم النافع، والله ولي التوفيق والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول- التعريف بمؤلف الكتاب: حياته وآثاره العلمية

أولًا: اسمه ونسبه

تقي الدين، أَبُو الْعَبَّاس، أَحْمد بن عَليّ بن عبد الْقَادِر بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم ابن مُحَمَّد ابن تَمِيم بن عبد الصَّمد، الْحُسَيْنِي، العبيدي، البعلي الأَصْل، ابْن الصَّائِغ، وَيعرف بِابْن المقريزي نِسْبَة إلى حارة فِي بعلبك تعرف بحارة المقارزة، حيث كانت تقيم أسرته قبل انتقال والده إلى القاهرة[٢].

أما انتسابه إلى العبيديين فهو من المواضيع الشائكة التي أكثر الباحثون الحديث عنها، فقال ابن حجر: "قد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئًا من تصانيفه، فكتب في أوله نسبه إلى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله القائم بالمغرب قبل الثلاثمئة، والمعز هو الذي بنيت له القاهرة، وهو أول من ملك من العبيديين، فالله أعلم، ثم إنه كشط ما كتبه ذلك المكي من أول المجلد، وكان في تصانيفه لا يتجاوز في نسبه عبد الصمد بن تميم"[٣]. ومن هنا يظهر الشك في صحة ذلك النسب لدى ابن حجر والسخاوي الذي نقل عنه أيضًا ذلك في ترجمته للمقريزي، مدللَين على صحة قولهما بأنه كان في تصانيفه لا يتجاوز في نسبه عبد الصمد بن تميم، ذاكرَين ترجمة الشيخ تقي الدين بن

رافع لجده عبد القادر، حيث نسبه إلى الأنصار، مع أن المقريزي لم يعترف بصحة ما ذكره ابن رافع عندما ذكر ابن حجر له ذلك[٤]، إلا أن السخاوي عد الإسناد الذي اعتمد عليه المقريزي في انتسابه إلى العبيديين إسنادًا ضعيفًا لا يعول عليه، ويظهر ذلك في قوله: "فَإِن مُسْتَنَده فِي كَونه من العبيديين كَونه دخل مَعَ وَالِده جَامع الْحَاكِم فَقَالَ لَهُ: يَا وَلَدي هَذَا جَامع جدك، لَا سِيمَا وَمَا قَالَه ابْن رَافع: فِي نسبه عبد الْقَادِر جده أَنْصَارِيًّا يخدش فِي هَذَا، وَإِن توقف صَاحب التَّرْجَمَة فِيهِ، لكنه مَعَ ذَلِك لم يكن يتَجَاوَز فِي تصانيفه فِي سِيَاق نسبه عبد الصَّمد ابن تَمِيم، وَإِن أظهر زِيَادَة على ذَلِك فَلِمَنْ يَثِق بِهِ، ثمَّ رَأَيْت مَا يدل على أَنه اعْتمد فِي هَذِه النِّسْبَة العرياني الْمَشْهُور بِالْكَذِبِ، فَالله أعلم". ومع ذلك فإن الخلاف في نسبه للعبيديين لا يقلل من مكانته العلمية لكونه من أهم مؤرخي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[٥].

ثانيًا- مولده ونشأته

كان مولد المقريزي على الأرجح سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م في القاهرة[٦]، حيث نشأ في أسرة محبة للعلم، فقد كان جده من كبار الْمُحدثين ببعلبك، وتقلد والده القضاء، وَكتب التوقيع فِي ديوَان الْإِنْشَاء بالقاهرة بعد انتقاله إليها، فنشأ المقريزي نشأة حسنة، وحفظ الْقُرْآن الكريم، وتلقى العلم على يد جده لأمه الشيخ شمس الدين بن الصائغ الْحَنَفِيّ، وَعدد من علماء القاهرة، ودرس عددًا من الفنون والعلوم، إلا أنه أولع بالتاريخ، فجمع منه شيئًا كثيرًا، وصنف فيه كتبًا، وحدث ببعض مسموعاته، وحفظ الكثير منه[٧].

ثالثًا- عقيدته ومذهبه

كان في بداية أمره حنفيًّا على مَذْهَب جده لأمه الشيخ شمس الدين بن الصائغ، فحفظ مُخْتَصرًا في مذهب أبي حنيفة، وبعد وفاة والده سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م تحول شافعيًّا بعد أن تجاوزَ الْعشْرين من عمره، ثم اتهم بمذهب ابن حزم، قال عنه ابن حجر: "أحب اتباع الحديث، فواظب على ذلك حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم، ولكنه كان لا يُعْرَفُ به"[٨]. بينما ذكر ابن تغري بردي أنه

كان مقدرًا لابن حزم[٩]، مع أن وَالِده وجده كانا على المذهب الحنبلي[١٠]. وذكر كل من ابن حجر والسخاوي أن المقريزي عند الحديث عن نسبه للعبيدين كان لا يذكر نسبه هذا إلا لمن يثق به[١١]. فهل العلة في إخفاء هذا النسب إلا عمن يثق به هو تخوفه من أن يتهم بالتشيع، ففي العبارة إلماح لاستخدام التقية التي يتبعها الشيعة في إخفاء مذهبهم، ولعل اتهامه في مذهبه جعله يخفي نسبه إلى العبيديين؛ مع أن الانتساب إلى العبيديين لا يعني حتمية اعتناق التشيع.

رابعًا- رحلاته العلمية

بلغ عدد شُيُوخه سِتَّ مئَة عالم في مصر والشام والحجاز، التقاهم في رحلاته التي من أهمها رحلته للحج، فقد جاور بمكة، وسمع من علمائها أمثال أبي الْفضل النويري، وَأبي الْعَبَّاس ابن عبد الْمُعْطِي، وغيرهم كثر، فأَجَازَ لَهُ عدد منهم، فحدث بِبَعْض تصانيفه ومروياته بِمَكَّة، ورحل أيضًا إلى الشَّام، والتقى ببعض علمائها الْكِبَار، وحضر مجلس الْأَئِمَّة، فَأخذ عَنْهُم، ودَرَّسَ عددًا من الفنون والعلوم والْفَضَائِل، ثم بدأ بكتابة ما تعلمه، فنظم الشِّعْر والنثر، وظهر علمه، وذاع صيته، وأثنى عليه الناس، وكانت له خبرة بالزايرجة والاصطرلاب والرمل والميقات[١٢]. وشيوخ المقريزي كثر كما أسلفنا، إلا أن من أشهرهم عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[١٣]، وقد خصصته بالذكر لتأثر المقريزي بآرائه، والتي ظهرت في كتاباته التحليلية الناقدة للأحداث التاريخية، فهو يأخذ بمبدأ السببية الذي كان من أهم المبادئ التي دعا إليها ابن خلدون في مقدمته.

خامسًا- أهم الوظائف التي تقلدها

ولي المقريزي التوقيع في ديوان الإنشاء، والقضاء والْحِسْبَة والخطابة بِجَامِع عَمْرو، وبمدرسة السلطان حسن، والإمامة بِجَامِع الْحَاكِم وَنَظره، وَقِرَاءَة الحَدِيث بالمؤيدية، وحمدت سيرته فِي مباشراته، وَكَانَ قد اتَّصل بِالظَّاهِرِ برقوق ووَلَده النَّاصِر، وَعرض عَلَيْهِ قَضَاء دمشق مرَارًا، فَأبى، وَصَحب عددًا من أمراء المماليك، وَحج غير مرَّة، وجاور، وعُين ناظرًا للأوقاف في دمشق، ثمَّ ترك ذَلِك،

وَأَقَام بِبَلَدِهِ عاكفًا على الِاشْتِغَال بالتاريخ، حَتَّى اشْتُهِرَ بِهِ ذكره، وذاع صيته[١٤].

ومن خلال الوظائف التي تقلدها في مصر والشام والحجاز، وعمله في ديوان الإنشاء والتدريس والقضاء والحسبة التي كان لصاحبها الإشراف على الأسواق العامة، والموازين والمكاييل، وغيرها من شؤون الحياة اليومية في المجتمع؛ صار على معرفه بطبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأسعار السوق، والمشكلات التي يواجهها الناس، وهذا ما أثر في شخصيته وفكره التاريخي.

سادسًا- أهم مؤلفاته وآثاره العلمية

قرر المقريزي التفرغ للبحث والدراسة والتأليف بعد سنوات طويلة قضاها بين طلب العلم والدراسة، والعمل في الوظائف العامة في الدولة المملوكية، فعكف على دراسة التاريخ حَتَّى ذاع صيته، وَصنف فِيهِ جملَة من التصانيف، وزادت تصانيفه عن مِئَتي مجلد، أهلته ليكون فريدًا بين أبناء عصره من المؤرخين، وانقسمت مؤلفاته إلى كتب كبيرة اتصفت بالموسوعية، وكتيبات صغيرة أشبه بالمقالات، ومن مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر[١٥]:

الرقم	عنوان الكتاب	نوع نسخة الكتاب
١-	إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع	مطبوع
٢-	الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري	مطبوع
٣-	الأخبار عن الإعذار والإشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام	مطبوع
٤-	التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم	مطبوع
٥-	شذور العقود في ذكر النقود	مطبوع
٦-	المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية	مطبوع
٧-	الأوزان والأكيال الشرعية	مطبوع

٨-	درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة	مطبوع
٩-	الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة	مطبوع
١٠-	الْبَيَان وَالْإِعْرَاب عَمَّا فِي أَرض مصر من الْأَعْرَاب	مطبوع
١١-	إغاثة الأمة بكشف الغمة	مطبوع
١٢-	الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام	مطبوع
١٣-	اتَّعاظ الحنفاء بأخبار الْأَئِمَّة الفاطميين الْخُلَفَاء	مطبوع
١٤-	الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك	مطبوع
١٥-	المقفى الكبير	مطبوع
١٦-	الخِطط المقريزية المسمى بـ "المواعظ والاعتبار بذكر الخِطط والآثار"	مطبوع
١٧-	السلوك بِمَعْرِفَة دوَل الْمُلُوك	مطبوع

سابعًا- وفاته

اختلف في يوم وفاته؛ حيث ذكر ابن حجر أنه مات في يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان، بينما ذكر السخاوي أنه مَاتَ فِي عصر يَوْم الْخَمِيس السادس عشر من رَمَضَان سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م بِالْقَاهِرَةِ بعد مرض طَوِيل وله من العمر ثمانون سنة، وَدفن قبل صلَاة الجمعة بحوش الصُّوفِيَّة البيبرسية رَحمَه الله(١٦).

المبحث الثاني: منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي "كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" نموذجًا

أولًا- التعريف بكتاب "السلوك"

ظهر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عدد من المؤلفات

التاريخية، وقد شجع على ظهور تلك الدراسات التاريخية ازدهار الحركة العلمية في تلك المدة؛ إضافة إلى استقرار الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي، وما حظي به العلماء من اهتمام من قبل السلاطين والحكام؛ إضافة إلى حصولهم على الدعم المادي، فقد خُصِّصَت للعلماء بعض الأوقاف التي توفر لهم سبل العيش، فبرز عدد من المؤرخين الذين تميزوا بالدقة وسعة الأفق أمثال المقريزي الذي تميزت كتابته بالموسوعية والمنهج التاريخي(١٧).

ويعد كتابه "السلوك" من أهم مصادر تاريخ مصر في عصر الدولتين: الأيوبية والمملوكية، وهو في حقيقة الأمر موسوعة علمية شملت مختلف نواحي الحياة العلمية والأدبية والتاريخية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والجغرافية والعمرانية والاجتماعية وغيرها من الأنشطة الإنسانية التي حدثت خلال نحو ثلاثة قرون (٥٦٩-٨٤٤هـ/ ١١٧٣- ١٤٤٠م)، ولم تقتصر على أخبار مصر فقط، بل امتدت لتشمل أخبار البلاد الإسلامية وغيرها من البلدان التي عاصرتها في تلك المدة التاريخية، فَحُفِظَ لنا تاريخٌ غزيرُ المادة العلمية على مختلف الأصعدة.

وحسب الترتيب التاريخي يعد كتاب السلوك السلسلة الرابعة من مؤلفات المقريزي في تاريخ الدول المتعاقبة على حكم مصر(١٨)، حيث بدأها بكتاب "البيان والإعراب فيمن دخل مصر من الأعراب"، ثم "عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط"، الذي أرخ فيه لمصر حتى قيام الدولة الفاطمية، إلا أن هذا الكتاب تعرض للضياع، حيث كانت منه نسخة يتيمة في مكتبة برلين ضاعت في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم يليها حسب التسلسل التاريخي كتاب "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا"، ثم كتاب "السلوك" الذي أرخ فيه للدولتين الأيوبية والمملوكية حتى سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م(١٩).

وقد ظهر كتاب "السلوك" في أربعة مجلدات ضخمة، طبعت أجزاء منها مترجمة إلى الفرنسية، وعكف على تحقيقه الدكتور محمد مصطفى زيادة، والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، وخرج في أربعة أجزاء، وكل جزء مقسم إلى ثلاثة أقسام، والقسم الثالث فيه الفهارس والملاحق الخاصة بالجزء، وقدم المقريزي

في كتاب "السلوك" تاريخًا شاملًا لمصر، وما جاورها من البلدان التي اتصلت بتاريخها، ويعد من أهم مصادر الحروب الصليبية والغزو المغولي، وقد أُلِّفَ له عدد من الذيول[٢٠]، كان من أهمها كتاب ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور)[٢١]، وكتاب السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) (التبر المسبوك في ذيل السلوك) حيث أكمل التأريخ من سنة ٨٤٥-٨٥٧هـ/١٤٤١-١٤٥٣م تحقيقًا لرغبة الدوادار يشبك من مهدي وزير الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)[٢٢].

اعتمد المقريزي في كتابه السلوك على عدد من المصادر، منها الروايات الشفهية، أو الكتب على تنوع حقولها، ومنها الدينية والتاريخية والجغرافية والأدبية ونحوها، أو الوثائق والمراسلات السياسية التي وظفها في خدمة مؤلفه، ونضيف الى ذلك ما عاصره بنفسه بصفته شاهد عيان كما سيأتي في صفحات البحث.

ثانيًا- منهجه في كتاب "السلوك"

يقصد بالمنهج في اللغة: الطريق البين الواضح المستقيم[٢٣].

قال تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً". الآية ٤٨، سورة المائدة.

أما في الاصطلاح فهو: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة عدد من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[٢٤].

أما مفهوم منهج البحث التاريخي فهو "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه". وهذه الطرائق قابلة دومًا للتطور والتكامل، مع تطور المعرفة الإنسانية[٢٥].

وقد اتبع المؤرخ المقريزي منهج الحوليات في تدوين أحداث كتاب "السلوك"، مترجمًا لسلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، مهتمًّا بأنسابهم، ومدد

حكمهم، وصفاتهم، وإنجازاتهم، إضافة إلى تراجم من توفي من الشخصيات البارزة، فسجل الحوادث مرتبة حسب السنين والشهور والأيام، فيبدأ السنة بسطر جديد، وبخط أكبر من المتن، وبمداد أحمر[٢٦]، مبتدئًا بأهم الأحداث، خاصة إذا جاءت موافقة لقيام سلطان جديد، ذاكرًا أصحاب الوظائف الكبرى إذا صدر لهم تعيين في تلك السنة التي يؤرخ لها. فشمل كتابه على عهد كل سلطان من السلاطين، ويختم حوادث العام بذكر وفياته، وبقي يعمل فيه مؤرخًا للدولتين الأيوبية والمملوكية حتى آخر سنة من حياته (٥٦٩-٨٤٤هـ/١١٧٣-١٤٤٠م)[٢٧].

أما مخطط كتاب "السلوك" فقد بدأ بصفحة العنوان التي عرف فيها باسمه ونسبه ومذهبه ذاكر بأنه من قام بجمعه وكتابته، مبينًا أنه كتبه لنفسه، لذا طلب العفو عن أي خطأ يُرى أو يُنقل عن مصنفه، وبذلك جعل الحجة في تصحيحه على الناقل عنه، ثم يلي ذلك عدد من الأسطر اشتملت على الدعاء، وكأنه يدعو فيها للقارئ[٢٨]، وهو الأمر الذي يرجح أنه أراد تقديمه إلى إحدى الشخصيات المهمة في عصره وإن لم يصرح بذلك.

أشار المقريزي في أولى صفحات كتابه إلى نسب الأكراد والعُمريين، ويلاحَظ أنه قد تمت الإضافة إليها من قبل ابن أخي المؤلف، وهو محمد المقريزي، وأيضًا تمت مطالعته من قبل المؤرخ المكي النجم عمر بن فهد الذي أشاد به[٢٩]، وهو ما يرجح أن كتابتها كانت بعد فراغه من تأليف كتاب "السلوك".

وقد بدأ المقريزي مقدمته بالبسملة والحمد والثناء والشكر والدعاء في نحو صفحتين، وهو ما درج عليه الكتاب المسلمون، مبينًا بعد ذلك سبب تأليفه كتاب "السلوك"، وهو رغبته في استكمال سلسلة مؤلفاته التاريخية عن تاريخ مصر، والذي ظهر في قوله: "أما بعد، فَإِنَّهُ لما يسر الله وَله الْحَمد بإكمال كتاب عقد جَوَاهِر الأسفاط من أَخْبَار مَدِينَة الفسطاط، وَكتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الْخُلَفَاء، وهما يشتملان على ذكر مَنْ مَلَكَ مصر من الْأُمَرَاء وَالْخُلَفَاء، وَمَا كَانَ فِي أيامهم من الْحَوَادِث والأنباء، مُنْذُ فتحت إِلَى أَن زَالَت الدولة الفاطمية

وانقرضت، أَحْبَبْت أَن أصل ذَلِك بِذكر مَنْ مَلَكَ مصر بعدهمْ من الْمُلُوك الأكراد الأيوبية، والسلاطين المماليك التركية والجركسية"(٣٠).

وذكر في مقدمته منهجه في كتابة كتاب "السلوك"، موضحًا أنه سوف يقتصر فقط على تاريخ الدولتين الأيوبية والمملوكية، مسلطًا الضوء على أبرز وأشهر الأعلام والأخبار والحوادث التي وقعت في تلك المدة، موضحًا أنه لن يُولِيَ التراجم والوفيات عناية كبيرة، وذلك لإفراده لها مؤلفًا مختصًّا بالتراجم، ويقصد به كتاب "المقفى"(٣١)، وأنه اعتمد في كتابته التاريخية على المنهج الوسطي بعيدًا عن الإطالة المملة للقارئ، والاختصار المخل بالمعنى، وختم مقدمته بالدعاء وحسن التوكل على الله(٣٢).

وتميزت الكتابة التاريخية لدى المقريزي باتباعه للمنهج التاريخي في التأليف، حيث إنه بدأ كتاب "السلوك" بتمهيد تناول فيه أحوال الأمم، وأهم الدول القائمة والديانات السائدة قبل ظهور الدعوة الإسلامية، وبعد ذلك أورد نبذة موجزة عن الخلافة في الدولة الإسلامية منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بدأها بخلافة الخلفاء الراشدين، ثم الخلافة الأموية والخلافة العباسية، مبينًا مدة كل منها، والخلفاء الذين تولوا الحكم فيهما إلى سقوط الخلافة العباسية على يد المغول، مشيرًا إلى أبرز الدويلات التي انفصلت عن الخلافة العباسية وحكمت تحت مظلتها، أمثال الدولة الأيوبية والدولة المملوكية التي عمل سلاطينها على إحياء الخلافة العباسية في مصر، ثم أفرد عنوانًا للحديث بشكل موجز عن تاريخ دولة بني بويه في الدلم، وعن تاريخ الدولة السلجوقية، وكل ذلك بإيجاز في غاية الدقة(٣٣).

وبعد الانتهاء من التمهيد لمؤلفه بدأ بتاريخ الدولة الأيوبية، ومنها إلى تاريخ الدولة المملوكية، معتمدًا على المنهج الحولي، فأرخ للحوادث حسب السنوات، ويذكر في معظمها الشهر واليوم، وتميزت كتاباته بالاستطراد، فقلما يعلق على الأحداث، وكان معظم تعليقاته في تراجم الوفيات التي يوردها في نهاية أحداث السنة، وتظهر أيضًا في الأحداث التي عاصرها، مع تسليطه الضوء

على جوانب الحياة المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعلمية.

أرخ المقريزي في كتاب "السلوك" لسلاطين الدولة الأيوبية وسلاطين الدولة المملوكية حتى نهاية مؤلفه (٥٦٩-٨٤٤هـ/١١٧٣-١٤٤٠م)، والذين بلغ عددهم نحو خمسة وأربعين سلطانًا، مؤرخًا لعصرهم وما يتصل به من أحداث على الصعيدين المحلي والدولي، وهم حسب ما يلي[٣٤]:

الرقم	السلطان	مدة حكمه (بالتاريخ الهجري)
•	صلاح الدين الأيوبي (مؤسس الدولة الأيوبية)	٥٦٩-٥٨٨
•	العزيز عثمان بن صلاح الدين	٥٨٨-٥٩٤
•	المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين	٥٩٤-٥٩٦
•	العادل أبو بكر بن أيوب	٥٩٦-٦١٥
•	الكامل بن العادل الأيوبي	٦١٥-٦٣٥
•	العادل بن الكامل الأيوبي	٦٣٥-٦٣٧
•	الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل	٦٣٧- ٦٤٧
•	المعظم توران شاه بن صالح	٦٤٧- ٦٤٨ (حكمه أقل من شهر)
•	الملك الأشرف الأيوبي، وكانت سلطته اسمية تحت سيطرة المماليك، وهو آخر حكام الدولة الأيوبية في مصر	٦٤٨ (حكمه اسمي تحت سلطة المماليك)

سلاطين الدولة المملوكية الذين أرخ لهم المقريزي في كتابة السلوك (عصر المماليك البحرية)		
•	شجر الدر	٦٤٨ (حكمت نحو ثلاثة أشهر)
•	المعز عز الدين أيبك	٦٤٨-٦٥٥
•	الملك المنصور نور الدين علي	٦٥٥-٦٥٧
•	الملك المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧-٦٥٨
•	الملك الظاهر بيبرس البندقداري	٦٥٨-٦٧٦
•	الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس	٦٧٦-٦٧٨
•	العادل سلامش بن الظاهر بيبرس	٦٧٨ (حكم نحو ثلاثة أشهر)
•	المنصور قلاوون الألفي	٦٧٨-٦٨٩
•	الملك الأشرف خليل بن قلاوون	٦٨٩-٦٩٣
•	الملك الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣-٦٩٤ المرة الثانية ٦٩٨-٧٠٨ المرة الثالثة ٧٠٩-٧٤١
•	الملك العادل كتبغا	٦٩٤-٦٩٦
•	الملك المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦-٦٩٨
•	الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	٧٠٨-٧٠٩
•	الملك المنصور أبو بكر بن الناصر محمد	٧٤١-٧٤٢

•	السلطان الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد	٧٤٢ (لم يحكم فعليًا حيث كان طفلاً عمره نحو خمس سنوات)
•	الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد	٧٤٢-٧٤٣
•	الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٣-٧٤٦
•	الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد	٧٤٦-٧٤٧
•	الملك المظفر سيف الدين حاجي بن الناصر محمد	٧٤٧-٧٤٨
•	الملك الناصر حسن بن الناصر محمد	٧٤٨-٧٥٢ المرة الثانية ٧٥٥-٧٦٢
•	الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	٧٥٢-٧٥٥
•	الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي	٧٦٢-٧٦٤
•	الملك الأشرف شعبان	٧٦٤-٧٧٨
•	الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان	٧٧٨-٧٨٣
•	الملك الصالح صلاح الدين حاجي بن الأشرف شعبان	٧٨٣-٧٨٤
(عصر دولة المماليك البرجية)		
•	الملك الظاهر برقوق	٧٨٤-٧٩٠ المرة الثانية ٧٩٢-٨٠١
•	الملك المنصور حاجي	٧٩٠-٧٩٢
•	الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق	٨٠١-٨٠٨ المرة الثانية ٨٠٨-٨١٥

•	الملك المنصور عز الدين عبد العزيز بن الظاهر برقوق	٨٠٨
•	الملك المؤيد شيخ المحمودي	٨١٥-٨٢٤
•	الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ المحمودي	٨٢٤
•	الملك الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤
•	الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر	٨٢٤-٨٢٥
•	الملك الأشرف سيف الدين برسباي	٨٢٥-٨٤١
•	الملك العزيز جمال الدين يوسف بن الأشرف برسباي	٨٤١-٨٤٢
•	الملك الظاهر سيف الدين جقمق	٨٤٢- ٨٥٧ مدة حكمه الفعلية أرخ المقريزي لسنتين من حكمه (٨٤٢-٨٤٤) حيث أنهى مؤلفه قبيل وفاته
المجموع	٤٥ سلطانًا من سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية	مدة ٢٧٥ سنة

من خلال الجدول أعلاه، يتضح أن المقريزي أرخ في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" لخمسة وأربعين سلطان من سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية لمدة مئتين وخمس وسبعين سنة، وبلغ عدد سلاطين الدولة الأيوبية الذين أرخ لهم تسعة سلاطين يمثلون نحو ٢٠% من العدد الفعلي للسلاطين الذين أرخ لهم المقريزي في كتاب "السلوك"، بينما أرخ لستة وثلاثين سلطانًا من سلاطين الدولة المملوكية يمثلون نحو ٨٠% من العدد الفعلي للسلاطين الذين أرخ لهم المقريزي في كتاب "السلوك"، ومن خلال هذه النتيجة يتضح أن سلاطين الدولة المملوكية

كانوا في المرتبة الأولى من حيث عدد السلاطين الذين أرخ لهم المقريزي، ثم يليهم في المرتبة الثانية سلاطين الدولة الأيوبية، ولعل ذلك يعود إلى قصر المدة الزمنية التي استمر فيها حكم الدولة الأيوبية في مصر وهي نحو تسع وسبعين سنة، بينما استمر حكم الدولة المملوكية في مصر مدة أطول، حيث إنها بلغت نحو مئتين وخمس وسبعين سنة، أرخ المقريزي منها مئة وستًّا وتسعين سنة، أي نحو قرنين من الزمن، حيث توقف في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م.

لذا نجد أن طول المدة الزمنية بلا شك كان له أثر في زيادة عدد السلاطين الذين أرخ لهم المقريزي في كتاب "السلوك"، وهو السبب نفسه لقلة عدد سلاطين دولة المماليك البرجية الذين أرخ لهم المقريزي، حيث بلغ عددهم نحو خمسة وعشرين سلطانًا، يمثلون نحو ٥٦% من العدد الفعلي للسلاطين الذين أرخ لهم المقريزي في كتاب "السلوك"، بينما بلغ عدد سلاطين دولة المماليك البرجية نحو أحد عشر سلطانًا، يمثلون نحو ٢٤% من العدد الفعلي للسلاطين، حيث إن المدة الزمنية لدولة المماليك البحرية والتي بلغت نحو مئة وست وثلاثين سنة كانت أطول مقارنة بالمدة التي أرخ فيها المقريزي لدولة المماليك البرجية والتي بلغت نحو ستين سنة من عمر هذه الدولة البالغ مئة وتسعًا وثلاثين سنة، حيث توقف المقريزي عن التأريخ لها في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، وهي مدة قصيرة مقارنة بمدة تأريخه لدولة المماليك البحرية، والتي يوضحها الرسم البياني التالي:

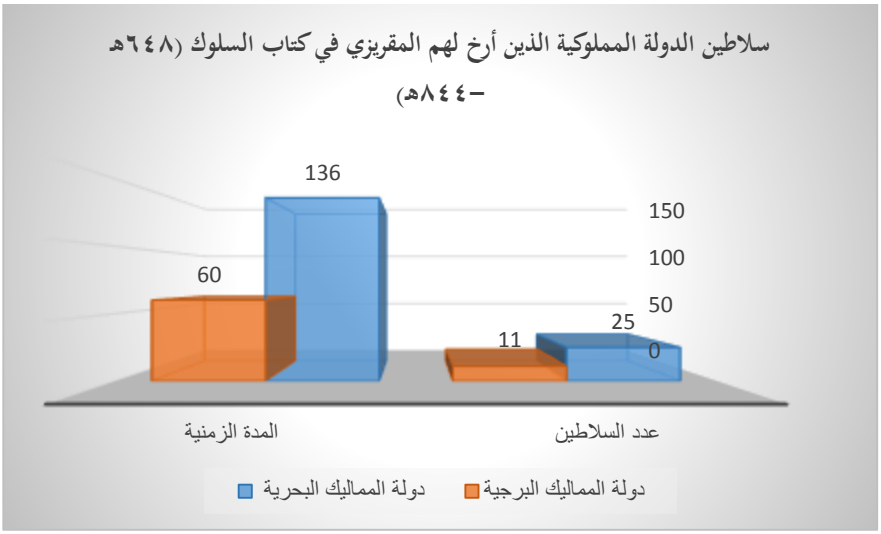

وقد اهتم المقريزي بذكر نسب السلاطين الذين أرخ لهم في الدولتين الأيوبية والمملوكية، وأورد ما يتصل بذلك النسب من أقوال، ومن ذلك ذكره نسب السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث قال: "... يُوسُف بن أَيُّوب بن شادي بن مَرْوَان بن أبي عَليّ بن عنترة الْحسن بن عَليّ ابن أَحْمد بن أبي عَليّ بن عبد الْعَزِيز بن هدبة بن الْحصين بن الْحَارِث ين سِنَان بن عَمْرو بن مرّة بْن عَوْف. ومن هنا اختلف النسابون، فَقيل عَوْف بن أُسَامَة بن نبهش بن الحارثة صَاحب الْحمالَة ابن عَوْف ابن أبي حَارِثَة بن مرّة بن نشبة بن غيظ بن مرّة بن عَوْف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن إلْيَاس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. وَيُقَال إِن عَليّ بن أَحْمد يعرف بالخراساني"(٣٥).

وهكذا نرى أن كتاب "السلوك" موسوعة علمية شملت مجالات شتى تحمل القارئ على التعجب من قدرة شخص واحد على كتابة هذه الكمية الهائلة من المعلومات، إلا أن استخدام المنهج الحولي فيها سهل الأمر على طالبي العلم في البحث في كتاب "السلوك"، وهو ما يدل على أنه أفضل منهج في كتابة الموسوعات التاريخية، وقد وفق المقريزي في كتاب "السلوك"، وبرع في الإبحار

بالقارئ في ميادين مختلفة من المعرفة التاريخية. ومن أهم الموضوعات التي أرخ لها المقريزي في كتاب "السلوك" على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- أرخ لكل ما يتعلق بالأحوال السياسية، ورسوم الحكم، وما يتصل بها من تنصيب السلطان والخطبة والكسوة والمحمل والسكة(٣٦).
- سلط الضوء على النواحي الاقتصادية، ودخل الدولة، وواردتها من الزكاة والتجارة والضرائب ونحوها، وأنواع العملة، ووزنها، والأسعار السائدة في مصر وبعض البلدان الإسلامية إبان العصرين الأيوبي والمملوكي(٣٧).
- أرخ للأمن الغذائي والبيئي، فذكر عددًا من الآفات التي تصيب المحاصيل، والكوارث البيئية(٣٨). ومن ذلك قوله: "وفيهَا كثرت عَادِية الفار فِي أكل ثمار النّخل والأقصاب وَالْأَشْجَار"(٣٩)، وأرخ أيضًا للحوادث والظواهر الطبيعية، ومنها السيول والأمطار والزلازل والفيضانات والعواصف والخسوف والكسوف، وما نتج عنها من أضرار، ومن ذلك قوله: "وعظمت زِيَادَة النّيل وغرق النواحي... وحصلت بِمصْر زَلْزَلَة وهبت سموم حارة فِيهَا إعصار ثَلَاثَة أَيَّام أتلفت الخضروات الَّتِي فضلت من الْغَرق، وانشقت زريبة جَامع المقس لقُوَّة الزِّيَادَة، وَخيف على الْجَامِع أَن يسْقط، فَأمر بعمارتها."(٤٠).
- أرخ المقريزي في كتاب "السلوك" لنهر النيل، فتتبع زيادة منسوب المياه فيه، ونقصانه، والفيضانات، وما يتصل بذلك من أزمات في المواد الغذائية وارتفاع الأسعار، ومن ذلك قوله في أحداث سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م: "وفيهَا توقفت زِيَادَة النّيل، فَلم يجر إِلَّا ثَلَاثَة عشر ذِرَاعًا تنقص ثَلَاثَة أَصَابِع، وشرق مُعظم أَرض مصر، فارتفعت الأسعار".(٤١)، وقوله في العام الذي يليه: "احْتَرَقَ الماء فِي برمودة، حَتَّى صَار فِيمَا بَين المقياس والجيزة بِغَيْر مَاء، وَتغَير طعم المَاء وريحه، وَكَانَ القاع ذراعين، وَأخذ يزِيد زِيَادَة ضَعِيفَة إِلَى سادس عشر مسرى، فَزَاد إصبعاً، ثمَّ وقف، ثمَّ زَاد زِيَادَة قَوِيَّة أَكْثَرهَا ذِرَاع، حَتَّى بلغ خَمْسَة عشر ذِرَاعًا وَسِتَّة عشرَ إصبعًا، ثمَّ انحط من يَوْمه،

فَلم ينْتَفع بِهِ"(٤٢)، وقد ارتبط حدوث القحط والجدب بانتشار المجاعات والأوبئة(٤٣) والأمراض، ومن ذلك مجاعة في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، وقد أورد ذلك في قوله: "وفيهَا تَعَذَّرَتْ الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأسعار، وَعظم الغلاء، حَتَّى أكل النَّاس الميتات، وَأكل بَعضهم بَعْضًا، وَتبع ذَلِك فنَاء عَظِيم، وابتدأ الغلاء من أول الْعَام، فَبلغ كل إردب قَمح خَمْسَة دَنَانِير، وَتَمَادَى الْحَال ثَلَاث سِنِين مُتَوَالِيَة، لَا يمد النّيل فِيهَا إِلَّا مدًّا يَسِيرًا، حَتَّى عدمت الأقوات، وَخرج من مصر عَالم كَبِير بأهليهم وَأَوْلَادهمْ إِلَى الشَّام، فماتوا فِي الطرقات جوعًا... وَأُكِلَتِ الْكلاب بأسرها، وَأُكِلَ من الْأَطْفَال خلق كثير... ثمَّ صَار النَّاس يحتال بَعضهم على بعض، وَيُؤْخَذ مَن قُدِرَ عَلَيْهِ، فيؤكل، وَإِذا غلب الْقوي ضَعِيفًا ذبحه، وَأكله، وَفُقِدَ كثير من الْأَطِبَّاء لِكَثْرَة من كَانَ يستدعيهم إِلَى المرضى، فَإِذا صَار الطَّبِيب إِلَى دَاره ذبحه، وَأكله"(٤٤)، وفي قوله: "تحرّك هَوَاء، أعقبه وباء، وَكثر الْجُوع وَعدم الْقُوت، حَتَّى أُكِلَت صغَار بني آدم"(٤٥).

- أرخ للقوات العسكرية الإسلامية ومواجهتها للخطرين الصليبي والمغولي في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية، لذا نجد كتاب "السلوك" حافلًا بأخبار الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمن تقريبًا ضد الدول الإسلامية، وموقف سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية في التصدي لها وللخطر المغولي اللذين اجتاحا البلاد الإسلامية(٤٦).
- أرخ للحياة الدينية، وظهور بعض الفرق والمذاهب(٤٧)، أمثال الشيعة الإسماعلية والصوفية(٤٨) ونحوهم(٤٩)، فحوى مؤلفه الكثير من أخبارهم(٥٠).
- كان دقيقًا في تحديد المعالم العمرانية للمدن الإسلامية، وفي طليعتها مدينة القاهرة، فوصف سورها، وقلعتها، وحدد الأطوال بالذراع، وما بها من مساجد وآبار والمدرسة والمشفى وبرج السويس وغيرها من المعالم العمرانية(٥١).
- تتبع أخبار مواسم الحج، وأرخ لمن حج من سلاطين الدولتين الأيوبية

والمملوكية، وما ارتبط بمواسم الحج من إمارة الحج وإرسال المحمل والكسوة والخلع، والمكوس[٥٢] المفروضة على التجارة والحجاج، مبيناً مقدارها، والسلاطين الذين قاموا بإلغائها، والإقطاعات التي عوض بها أمراء مكة[٥٣].

- أرخ للطرق التجارية البرية، والبحرية، وطرق الحج، والتغيرات التي طرأت على الطرق بين البلدان الإسلامية، وما يتصل بها من أخطار وتهديدات بعض القبائل القريبة منها[٥٤]. من خلال كتاب "السلوك" يمكن رسم خريطة جغرافية توضح طرق القوافل والحج، والتغيرات التي طرأت عليها، والقبائل التي تخفرها.

- تتبع الدول الإسلامية التي عاصرت الدولتين الأيوبية والمملوكية، مثل دولة الهواشم في مكة بقوله في أحداث سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م: "وفيهَا انْقَضتْ دولة الهواشم بِمَكَّة، وَقدم إِلَيْهَا حَنْظَلَة بن قَتَادَة بن إِدْرِيس بن مطاعن من يَنْبع، فَخرج مِنْهَا مكثر بن عِيسَى بن فليتة إِلَى نَخْلَة، فَأَقَامَ بهَا، وَمَات سنة سِت مئَة، ثمَّ وصل مُحَمَّد بن مكثر إِلَى مَكَّة، فحاربوه، وهزموه، ثمَّ قدم قَتَادَة أَبُو عَزِيز بن إِدْرِيس، فاستمر بِمَكَّة هُوَ وَولده من بعده أُمَرَاء إِلَى أَعْوَام كَثِيرَة"[٥٥].

أما أساليب الكتابة التاريخية التي استخدمها المقريزي في كتاب "السلوك" فقد تنوعت، وقد أكثر من بعضها، بينما تطرق لبعضها في مواطن محددة من مؤلفه، وكان من أبرزها ما يلي:

- استخدم أسلوب السجع في مقدمته، ومن ذلك قوله: (وتحابوا فِي الله كَأَن لم ينشؤوا على الْبغضَاء والتنافر، حَتَّى صَارُوا بِاتِّبَاع مِلَّته، والاقتداء بِشَرِيعَتِهِ، من رِعَايَة الشَّاء الْبَعِير، إِلَى سياسة الجم الغفير، وَبعد اقتعاد سَنَام النَّاقة والعقود، وملازمة بَيت الشّعْر والعمود، وَأكل القيصوم وَالشِّيْح، ونزول القفر الفسيح، إِلَى ارتقاء المنابر والسرير، وتوسد الأرائك على الْحَرِير، وارتباط المسومة الْجِيَاد، واقتناء مَا لَا يُحْصى من الخدم والعتاد)[٥٦].

- ونلاحظ استخدامه أسلوب التشكيك في بعض الأخبار، فيستخدم كلمة قيل عند عدم التثبت من صحة الخبر؛ لأنه نقل ما روي له أو جمعه، واستخدم عبارات التأكيد في الروايات التي تثبت من صحتها أو رجحها في الغالب، ومن ذلك ما في رواية نسب السلطان صلاح الدين الأيوبي أعلاه، حيث إنه استخدم كلمة قيل في نسبه العربي، ثم كلمة الحق عند ذكر عودة نسبه الى الأكراد، والتي ظهرت في قوله: "وَالْحق أَنه من الأكراد الروادية أحد بطُون الهذبانية، من بلد دوين فِي آخر أذربيجان من جِهَة أران وبلاد الكرج. وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ، أكبرهما أَيُّوب، ثمَّ شيركوه، قدم بهما الْعرَاق، فخدما عِنْد بهروز، فَجعل أَيُّوب على قلعة تكريت، وَكَانَت فِي إقطاعه"(٥٧).
- استخدم في كتابته أسلوب الإحالة، فيشير إلى الخبر دون تفصيل، ثم يحيل القارئ إلى أنه سوف يتناوله بالتفصيل في موضعه من الكتاب، مؤسسًا بذلك منهجًا للكتابة التاريخية، ومن ذلك قوله: "وانقرضت دولة بني الْعَبَّاس بزواله، وَصَارَ النَّاس بِغَيْر خَليفَة إِلَى سنة تسع وَخمسين وستمِئَة، فأقيم فِي تِلْكَ السّنة خَليفَة بِمصْر، قدم إِلَيْهَا من بَغْدَاد، لقب بالمستنصر بِاللَّه أَحْمد ابن الظَّاهِر بن النَّاصِر،... فَصَارَ من بعده مُلُوك مصر الأتراك يُقِيمُونَ رجلًا يسمونه الْخَلِيفَة، ويلقبونه بلقب الْخُلَفَاء، وَلَيْسَ لَهُ أَمر وَلَا نهي وَلَا نُفُوذ كلمة، بل يتَرَدَّد إِلَى أَبْوَاب الْأُمَرَاء وأعيان الْكتاب والقضاة، لتهنئتهم بالأعياد والشهور، وَسَيَأْتِي ذكرهم إِن شَاءَ الله."(٥٨). "فَلَمَّا مَاتَ شيركوه قَامَ من بعده صَلَاح الدّين يُوسُف، كَمَا سنقف عَلَيْهِ فِيمَا يَأْتِي إِن شَاءَ الله تَعَالَى".(٥٩) وأيضًا الإحالة إلى سنة بعينها، ومن ذلك قوله: "وأنعم بمكانها على الْأَمِير الْكَبِير تمرتاش المحمدي... فَمَا شعر حَتَّى خرج فِي خدمَة السُّلْطَان إِلَى الشَّام، وَتركهَا، وَكَانَ من أمرهَا مَا يَأْتِي ذكره –إِن شَاءَ الله– فِي سنة ثَلَاث وَعشْرين وَثَمَانمِئَة".(٦٠) وأيضًا أحال إلى بعض كتبه، ومن ذلك قوله: "وَأما الْيَهُود فَإِنَّهُم أَتبَاع نَبِي الله مُوسَى ابن عمرَان، صلوَات الله عَلَيْهِ، وكتابهم التوراة... وَقد ذكرنَا أَيْضًا جَمِيع مُلُوكهمْ فِي كتاب عقد جَوَاهِر الأسفاط."(٦١)

وقوله: "وَهُوَ السُّلْطَان شهَاب الدّين أَبُو الْمَغَازِي... وَقد ذكرت تَرْجَمته فِي كتاب دُرَر الْعُقُود الفريدة فِي تراجم الْأَعْيَان المفيدة"(٦٢).

- برع في أسلوب الإيجاز بطريقة فريدة من نوعها ولا سيما في التمهيد لمؤلفه(٦٣)، واستخدم بعض الألفاظ التي لم تكن شائعة في عصره، منها كلمة الميناء، والضرائب، ونحوها(٦٤).
- اتبع المنهج الوصفي في مواطن كثيرة في مؤلفه، ومن ذلك وصفه للمصاحف والهدايا التي أرسلها السلطان صلاح الدين إلى نور الدين، والذي ظهر في قوله: "فيهَا جهز السُّلْطَان مَعَ الْوَزير ابْن القيسراني مَا تحصل عِنْده من المَال، وأصحبه هَدِيَّة لنُور الدّين، وَهِي خمس ختمات، إِحْدَاهَا في ثلاثين جُزْءًا مغشاة بأطلس أَزْرَق، ومضببة بصفائح ذهب، وَعَلَيْهَا أقفال من ذهب مَكْتُوبَة بِخَط ذهب، وَأُخْرَى فِي عشرَة أَجزَاء مغشاة بديباج فستقي، وَأُخْرَى فِي جلد بِخَط ابْن البواب بقفل ذهب، وَثَلَاثَة أَحْجَار بلخش، مِنْهَا حجر زنته اثْنَان وَعِشْرُونَ مِثْقَالاً، وَحجر وَزنه اثْنَا عشر مِثْقَالاً، وقماش كثير قدر قيمتهَا بِمِئَتي ألف دِينَار وَخَمْسَة وَعشْرين ألف دِينَار"(٦٥). كما اهتم أيضا بالأسلوب الوصفي في التراجم فذكر الصفات الخَلْقِية والخُلُقِية لمن يترجم له من الوَفَيَات، ومن ذلك وصفه للقاضي محمد المليجي: "مات القَاضِي تاج الدّين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد المليجي، الْمَعْرُوف بصائم الدَّهْر، نَاظر الأحباس، ومحتسب الْقَاهِرَة، وخطيب مدرسة حسن، فِي تَاسِع عشر صفر، عَن نَحْو سبعين سنة، وَكَانَ خيرًا، دينًا، كثير النّسك، سَاكِنًا، قَلِيل الْكَلَام، بهيج الزي، جميل الْهَيْئَة، يسْرد الصَّوْم دَائِمًا.(٦٦) وهو منهج درج عليه المؤلفون في التراجم.
- ويلاحظ على كتاباته الاستطراد في ذكر الأحداث وعدم التعليق على بعض الحوادث التي تحتاج إلى تعليق، ومن ذلك ذكره خبر تخريب قوات صلاح الدين للكرك والشوبك دون تعليق على مدى صحة هذا الخبر في أحداث سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م: "فَسَار إلى الكرك فِي اثْنَي عشر ألف فَارس، ونازلها،

وَقطع أشجارها، ثمَّ قصد الشوبك، فَفعل بهَا مثل ذَلِك"(٦٧)، إلا أنه لا يتوانى عن ذكر الأسباب في بعض الأحيان، ومن ذلك ذكره سبب هزيمة الأيوبيين من صاحب الكرك في سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، والتي تظهر في النص التالي: "وَدخل السُّلْطَان إلى الْقَاهِرَة منتصف جُمَادَى الْآخِرَة لَا تضرب لَهُ نوبَة حَتَّى يكسر الفرنج، وَقطع أَخْبَار جمَاعَة من الأكراد من أجل أَنهم كَانُوا السَّبَب في هَذِه الكسرة"(٦٨). ولعل المقصود من عبارة: "وقطع أخبار جماعة من الأكراد" أنهم تعرضوا للعقاب؛ لأنهم كانوا سبب الهزيمة.

- ومن الأساليب التي استخدمها أسلوب التعليل، ومن ذلك تعليله للأزمات الاقتصادية في مصر، ومن ذلك قوله: "عَمت بلوى الضائقة بِأَهْل مصر، لِأَن الذَّهَب وَالْفِضَّة خرجا مِنْهَا، وَمَا رجعا، وَعدما، فَلم يوجدا، ولهج النَّاس بِمَا عمهم من ذَلِك"(٦٩). وأيضًا تعليله لأسباب ارتفاع الأسعار في سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، وهي قلة الأمطار التي نتج عنها القحط والجدب، ويظهر ذلك في قوله: "وفيهَا غلت الأسعار بِبِلَاد الشَّام لِكَثْرَة الجدب، وَاشْتَدَّ الْأَمر بحلب"(٧٠).
- لم يكن المقريزي ناقلًا للأخبار والأحداث فحسب، بل كان محللًا لها ومستنتجًا، وظهر ذلك من خلال تحليله لبعض الأحداث التاريخية، ففي سنة ٦١٥هـ/١٢١٢م استنتج المقريزي السبب وراء مراسلة السلطان الكامل الأيوبي لإخوته، فقال: "لما سَار ابْن المشطوب رَجَعَ الْمُعظم إِلَى أَخِيه الْكَامِل، وَتقدم إِلَى أَخِيه الفائز بِأَن يُمْضِي إِلَى الْمُلُوك الأيوبية بِالشَّام والشرق رَسُولًا عَن الْملك الْكَامِل بِسَبَب إرْسَال عَسَاكِر الْإِسْلَام لاستنقاذ دمياط وَأَرْض مصر من الفرنج، وَكتب الْكَامِل إِلَى أَخِيه الْأَشْرَف مُوسَى شاه أرمن: يا مسعدي إِن كنت حَقًّا مسعفي فانهض بِغَيْر تلبث... فَسَار الفائز، وَكَانَ الْغَرَض إِخْرَاجه من أَرض مصر، فَمضى إِلَى دمشق، ورحل إِلَى حماة، ثمَّ سَار إِلَى الشرق، فانتظم أَمر الْكَامِل، وقوي ساعده، وترتبت قَوَاعِد ملكه"(٧١). وقوله: "وَكَانَ سَبَب هَذِه الْحَادِثَة أَنه وَقع بَين ملك القطلان صَاحب برجلونة

وَبَين ملك قشتالة صَاحب أشبيلية وقرطبة، فَجمع القشتيلي، وَسَار لِحَرْب القطلاني... فأشير عَلَيْهِ بِأخذ مَا أنفقهُ من الْمُسلمين بِأَن يغزوهم، فَإِنَّهُم قد ضعفوا، وَمَا زَالُوا حَتَّى تقرر الصُّلْح، وَنزل على أغرناطة، وَكَانَ مَا تقدم ذكره." (٧٢)

- تميز أسلوبه بالاستشهاد بآيات من القرآن الكريم في كتابه، ومن ذلك قوله: "ومستحق الشُّكْر وَالْحَمْد (لَا يسْأَل عَمَّا يفعل وهم يسْأَلُون) بِيَدِهِ ملكوت كل شَيْء وَإِلَيْهِ ترجعون (وَلَا إِلَه إِلَّا الله الْوَاحِد الْأَحَد، الْفَرد الصَّمد، الَّذِي لم يلد وَلم يُولد وَلم يكن لَهُ كفواً أحد)" (٧٣). واستشهد أيضًا بالأحاديث النبوية الشريفة في بعض الأخبار، ففي خبر سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م قال: "وانقرضت بمهلكه دولة بني الْعَبَّاس من بَغْدَاد، وَصَارَ النَّاس بِغَيْر خَلِيفَة إِلَى سنة تسع وَخمسين وسِتمِئَة، فصح حَدِيث حبيب بن أبي ثَابت عَن عبيد الله بن عبد الله بن عتبَة أَن رَسُول الله قَامَ، فَقَالَ: يَا معشر قُرَيْش، إِن هَذَا الْأَمر لَا يزَال فِيكُم وَأَنْتُم ولاته حَتَّى تحدثُوا أعمالًا تخرجكم مِنْهُ. فَإِذا فَعلْتُمْ ذَلِك سلط الله عَلَيْكُم شَرّ خلقه، فالتحوكم كَمَا يلتحي الْقَضِيب."(٧٤) كما استشهد بأقوال بعض العلماء من أساتذته وشيوخه، ومن ذلك قوله: "وَقَالَ لي شَيخنَا –الْأُسْتَاذ قَاضِي الْقُضَاة ولي الدّين أَبُو زيد عبد الرَّحْمَن بن خلدون– مَا كثر النارنج بِمَدِينَة إِلَّا أسْرع إِلَيْهَا الخراب".(٧٥)

- اتبع منهج الاقتباس، فأورد نصوص بعض الأخبار على لسان قائليها، ومن ذلك ما ورد في رد نجم الدين الأيوبي على ابنه السلطان صلاح الدين عندما أعلن رغبته في التصدي لنور الدين، ونصحه بعدم الإفصاح عن نيته، وظهر ذلك في قوله: "ثمَّ إِن نجم الدّين خلا بِابْنِهِ صَلَاح الدّين، وَقَالَ لَهُ: (أَنْت جَاهِل قَلِيل الْمعرفَة، تجمع هَذَا الْجمع الْكثير وتطلعهم على مَا فِي نَفسك، فَإِذا سمع نور الدّين أَنَّك عازم على مَنعه عَن الْبِلَاد، جعلك أهم أُمُوره وأولاها بِالْقَصْدِ، وَلَو قصدك لم تَرَ مَعَك أحدًا من هَذَا العسكر، وأسلموك إِلَيْهِ..)(٧٦)، ويضم كتاب "السلوك" عددًا من الاستشهادات بالأبيات الشعرية

التي أوردها المؤلف.(٧٧)

- أورد بعض الأخبار التي كانت أقرب إلى الخيال والأسطورة، ولكنه لم يعلق عليها، واكتفى بذكرها فقط، والذي ظهر في أحداث سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م: "وفيهَا ورد الْخَبَر فِي كتاب من الْيمن بِأَن ثَلَاثَة أَنهَار بِالْحَبَشَةِ تَغَيَّرت بَعْدَمَا كَانَت عذبة، فَصَارَ أَحدهَا أجاجًا، وَالْآخر لَبَنًا، وَالْآخر دَمًا."(٧٨). وأيضًا في قوله: "وفيهَا ولدت امْرَأَة غرابًا".(٧٩) دون تعليق على الخبر.
- مارس أسلوب النقد في الكتابة التاريخية، والذي يظهر في نقده لبعض رجال الدولة من الوزراء، ومن ذلك ما ذكره في موفق الدّين أَبي الْفرج الْأَسْلَمِيّ، حيث وصل الأمر به إلى تكفيره: "كانَ أَسْوَأ الوزراء سيرة، وَكَثُرت فِي أَيَّامه المصادرات، وتسلط السُّفَهَاء بالسعاية إِلَيْهِ على النَّاس، حَتَّى عَم الْخَوْف، وفقد الْأَمْن، وَبِه اقْتدى فِي الظُّلم من بعده، وَعجل الله لَهُ فِي الدُّنْيَا من الْعَذَاب مَا لَا يُمكن وَصفه، إلى أَن أهلكه الله، وَأَدْخلهُ سعيرًا، فَإِنَّهُ لم يُؤمن بِاللَّه قطّ، بل أُكْرِهَ حَتَّى قَالَ كلمة الْإِسْلَام وَلبس الْعِمَامَة الْبَيْضَاء، فتسلط على النَّاس بِذُنُوبِهِمْ، وَمن الْعجب أَنه لما كَانَ يتظاهر بالنصرانية ويباشر الْحَوَائِج خاناه كَانَ مشكورًا بِكَثْرَة بره ورعايته للنَّاس، فَلَمَّا تظاهر بِالْإِسْلَامِ جَاءَ عذَابًا واصبًا على عباد الله"(٨٠).

كذلك انتقد الفساد الاقتصادي والديني بقوله: "والأسعار مُخْتَلفَة، فالقمح من مئَة وَخمسين درهمًا الأردب إِلَى مَا دونهَا، وَالشَّجر بِمِئَة دِرْهَم... وَاللَّحم مُتَعَذر الْوُجُود فِي الأحيان، فَإِن الْوَزير يمْنَع من الزِّيَادَة فِي سعره من أجل مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من راتب السُّلْطَان ومماليكه، وَإِذا حضر معاملو اللَّحْم أسواق الْغنم أخذُوا الأغنام كَيْفَمَا شَاءُوا، وأحالوا أَرْبَابهَا بِالثّمن على جِهَات، فيغبنوا فِيمَا يصل إِلَيْهِم من أَثْمَان أغنامهم، فَقل جلب الأغنام لأجل ذَلِك، والأسواق كاسدة، والجور فَاش، وَقد كل النَّاس الْفَاقَة، وعمت الشكاية، وَلَا يزْدَاد النَّاس إِلَّا إعْرَاضًا عَن الله، فَلَا جرم أَن حل بهم مَا حل وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه."(٨١)

وبقوله أيضًا: "وجدت الصيارفة والباعة السَّبِيل إِلَى أَخذ أَمْوَال النَّاس بِحجَّة أَن الدِّينَار نقص بِكَذَا وَكَذَا، ويتحكم الصَّيْرَفِي بِمَا يُرِيد، فَذهب كثير من أَمْوَال النَّاس فِي تَغْيِير أَحْوَال النُّقُود وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه."(٨٢)

وهكذا نرى من خلال كتابته التاريخية ظهور شخصيته الناقدة، وهو الأمر الذي دفعه إلى تبني مبدأ الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

- تجلت في كتاباته روح الوعظ في بعض المواطن، فأنكر الفساد والانحلال الأخلاقي، حيث إنه دَوَّن في مؤلفه ما وقع في المجتمع من منكرات وأمور منافية للأخلاق والآداب الإسلامية، وربط ذلك بنزول بعض العقوبات الإلهية، ومن ذلك قوله: "وكثر بمصر والقاهرة التجاهر بمعاصي الله... وحصلت بِمصْر زَلْزَلَة وهبت سموم حارة فِيهَا إعصار ثَلَاثَة أَيَّام."(٨٣) ولعل ذلك يعود إلى عمله بالحسبة.
- ومن منهجه في الكتابة التاريخية الترفع عن كتابة ما لا يليق من الأخبار، وظهر ذلك في قوله: "فتزايد كَلَام الغوغاء فِي ابْن الْبَارِزِيّ، وجهروا مِمَّا يقبح ذكره."(٨٤)

ظهر في كتاباته تمسكه بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، ومن ذلك تكذيبه بعض بدع النصارى، وتأكيد ذلك بالوقائع التاريخية، فقال: "فأكذب الله النَّصَارَى فِي قَوْلهم إن النّيل لَا يزِيد مَا لم يرم فِيهِ أصْبع الشَّهِيد، وَزَاد تِلْكَ السّنة حَتَّى بلغ إِلَى أصْبع من ثَمَانِيَة عشر ذِرَاعًا... وَأخذ عباد الصَّلِيب فِي الإرجاف بِأَن النّيل لَا يزِيد فِي هَذِه السّنة، فأظهر الله تَعَالَى قدرته، وَبَين للنَّاس كذبهمْ بِأَن زَاد النّيل زِيَادَة لم يُعْهَد مثلهَا كَمَا سَيَأْتِي ذكره."(٨٥)

- يلاحظ تغير منهجه في المدة التي عاصرها، فقد أصبح أكثر تفصيلًا، لذا ذكر في بداية كل سنة مقدمة مبينًا فيها الخليفة العباسي المعين بصفه اسمية من قبل الدولة المملوكية، والسلطان المملوكي بيده زمام الحكم، وأتابك العسكر، وقاضي القضاة في المذاهب الأربعة، وكاتب السر، وناظر

الخاص، وناظر الجيش، وأهم النواب مثل نائب الإسكندرية، ونائب غزة، وأخبار الخطبة والسكة والحكم، كذلك يضع عنوانًا للوفيات في نهاية السنة تميزت بأنها أكثر تفصيلًا من تلك المذكورة في أول مصنفه.(٨٦) ولعل ذلك يعود إلى كونه شاهد عيان، وهو ما جعله يفصل في الأخبار وتراجم الوفيات.

- منهج المقريزي في ذكر مصادره:
- لم يصرح المقريزي في بعض الأخبار التاريخية بمصادره، والتي يمكن تصنيفها بأنها مجهولة المصدر، ومن أمثلة ذلك عدم ذكر مصادره التي استقى منها معلوماته عن الخلافة في الدولة الإسلامية وما فيها من أحداث، واكتفى بالسرد التاريخي.(٨٧)
- ذكر مصادره في بعض الأخبار، ومن ذلك ذكر صاحب الأبيات الشعرية التي أوردها في مؤلفه وهو المتنبي، وظهر ذلك في قوله: "مدحه المتنبي بقصيدة مِنْهَا:

شَرق الجو بالغبار إِذا ... سَار على بن أَحْمد القمقام"(٨٨)

- نقل بعض الأخبار من أمهات الكتب والمصنفات في مختلف ميادين العلم والأدب والتاريخ والرحلة ونحوها من المصنفات التي طرق أبوابها في كتابه، ومن ذلك ذكر المؤلف دون اسم الكتاب، ويظهر ذلك في قوله: "قَالَ الْعَلامَة عبد اللَّطِيف بن يُوسُف الْبَغْدَادِيّ: كَانَ السُّوق الَّذِي فِي عَسْكَر السُّلْطَان على عكا عَظِيمًا ذَا مساحة فسيحة فِيهِ مئَة وَأَرْبَعُونَ دكانًا.."(٨٩)، وأيضًا في قوله: "قَالَ الْحَافِظ عبد الْعَظِيم الْمُنْذِرِيّ فِي المعجم المترجم"(٩٠).

ويذكر في بعض الأخبار اسم الكتاب، ومن ذلك قوله: "قد ذكرنَا أَخْبَار خزانَة البنود فِي كتاب المواعظ وَالِاعْتِبَار بِذكر الخطط والْآثَار ذكرًا شافيًا." (٩١)

- ومن مصادره في كتاب "السلوك"؛ الوثائق والمكاتبات والرسائل الرسمية، ومن ذلك قوله: "وَكتب إِلَى قوص بِإِبْطَال المكوس الَّتِي تُسْتَأْدَى من الْحجَّاج

وتجار الْيمن. وَورد كتاب إِبْرَاهِيم السِّلَاح دَار من الْمغرب أَنه فتح بِلَاد هوارة..."[٩٢]. "ورد الْخَبَر من نَاظر قوص بغرق أَربع جلاب بهَا ألف وثلاثمئة رجل من الْحجَّاج هَلَكُوا كلهم"[٩٣]... وفيهَا ورد الْخَبَر بِأَن الماء الَّذِي فِي زقاق سبتة قل حَتَّى ظَهرت القنطرة الَّتِي كَانَ يعبر النَّاس عَلَيْهَا فِي قديم الدَّهْر"[٩٤].

- واعتمد في بعض مصادره على الروايات الشفهية التي ذكر مصدرها، ومن ذلك قوله: "أخبرني به القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى الكاتب..."[٩٥]

- المبحث الثالث: آراء المؤرخين والباحثين المحدثين في المقريزي

احتل المقريزي مركزًا علميًّا مرموقًا بين المؤرخين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث إن معظم المؤرخين الكبار كانوا تلاميذه، ومن أبرزهم ابن تغري بردي[٩٦]، ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي الذي ذيل لكتاب "السلوك" في مؤلفه "التبر المسبوك في ذيل السلوك"، حيث أكمل التأريخ من سنة ٨٤٥-٨٥٧هـ/١٤٤١-١٤٥٣م تحقيقًا لرغبة الدوادار يشبك من مهدي وزير الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)[٩٧]، كما حظي بثناء العلماء وتقديرهم له، فأشادوا بعلمه، وكانت له منزلة عالية عند الملوك والسلاطين والأمراء وعلية القوم، وقد علل السخاوي ذلك بقوله: "كان تبجيل الأكابر لَهُ إِمَّا مداراة لَهُ، خوفًا من قلمه، أَو لحسن مذاكراته"[٩٨]. ومن أقواله: "من أرخ فقد حاسب الأيام على عمره، ومن كتب حوادث دهره فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره، فهو يهدي إلى الفضلاء أعمارًا، ويبوء إسماعهم وإبصارهم ديارًا ما كانت ديارًا"[٩٩].

أما آراء المؤرخين المعاصرين له، فقد نال المقريزي مديح وثناء معظمهم، وكان من أبرز العلماء الذين امتدحوه ابن حجر، فقال عنه: "كان إمامًا، عالمًا، بارعًا، متفننًا، ضابطًا، خيرًا، محبًّا لأهل السنة، يميل إلى الحديث... وَله النّظم

الْفَائِق، والنثر الرَّائِق، والتصانيف الباهرة، وخصوصًا فِي تَارِيخ الْقَاهِرَة، فَإِنَّهُ أَحْيَا معالمها، وأوضح مجاهلها، وجدد مآثرها، وَترْجم أعيانها... وأولع بالتاريخ، فَجمع مِنْهُ شَيْئًا كثيرًا، وصنف فِيهِ كتبًا، وَكَانَ لِكَثْرَة ولعه بِهِ يحفظ كثيرا مِنْهُ... كَانَ حسن الصُّحْبَة، حُلْو المحاضرة"(١٠٠).

وَقَالَ الْعَيْنِيّ عنه: "كَانَ مشتغلًا بِكِتَابَة التواريخ وبضرب الرمل"(١٠١)، وقال ابن تغري بردي: "شيخنا، الإمام، العالم، العلامة، المتقن، رأس المحدثين، وعمدة المؤرخين، تقي الدين، المقريزي، الشافعي، وأتقن من حرر تاريخ الزمان، وأضبط من ألف في هذا الشأن..."(١٠٢)، وقال عنه أيضًا: "هو أعظم من رأيناه وأدركناه"(١٠٣).

وقد امتدحه السخاوي بقوله: "وَكانَ حسن المذاكرة بالتاريخ... كثير الاستحضار للوقائع الْقَدِيمَة فِي الْجَاهِلِيَّة وَغَيرهَا... وإلمام بِمذهب أهل الْكتاب، حَتَّى كَانَ يتَرَدَّد إِلَيْهِ أفاضلهم للاستفادة مِنْهُ"(١٠٤).

ووصفه النجم ابن فهد بالشيخ العلامة، فقال في أخبار سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م: "وفيها... وصلت الرجبية إلى مكة المشرفة في جماعة كثيرة ممن يريد الحج والعمرة، منهم شيخنا العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي رحمه الله"(١٠٥).

وقال عنه سبط ابن العجمي الحلبي: "المقريزي إخباري، وترجمته طويلة، وحفظ تاريخًا كثيرًا، وجمع فيه شيئًا كثيرًا، وصنف فيه كتبًا خصوصًا تاريخ القاهرة فإنه أحيا معالمها"(١٠٦).

وامتدحه ابن تغري بردي بقوله: "الشيخ، الإمام، البارع، عمدة المؤرخين، وعين المحدثين... وتفقه، وبرع، وصنف التصانيف المفيدة، النافعة، الجامعة لكل علم، وكان ضابطًا، مؤرخًا، مفننًا، محدثًا، معظمًا في الدول... وكان إمامًا، مفننًا، كتب الكثير بخطه، وانتقى أشياء، وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته، وبعد موته، في التاريخ وغيره، حتى صار به يضرب المثل، وكان له محاسن شتى، ومحاضرة جيدة إلى الغاية، ولا سيما في ذكر السلف من العلماء والملوك

وغير ذلك، وكان منقطعًا في داره، ملازمًا للعبادة والخلوة، قَل أن يتردد إلى أحد إلا لضرورة"(١٠٧).

أما الذم والنقد الذي تعرض له المقريزي، فكان من المؤرخ الناقد السخاوي، وظهر في عدد من الأمور منها:

- عدم ضبط أسماء المترجم لهم بقوله: "لكنه قَلِيل الْمعرفَة بالمتقدمين، وَلذَلِك يكثر لَهُ فيهم وُقُوع التحريف والسقط، وَرُبمَا صحف فِي الْمُتُون، ومِمَّا رَأَيْته بِخَطِّهِ فِي ذَلِك ابْن الْبَدْر، وَهُوَ بِفَتْح الْمُوَحدَة، وَالدَّال الْمُهْملَة، فضبطه بِخَطِّهِ بِالْبَدَلِ، وَعلي بن مَنْصُور الكرجي، شيخ السلَفِي، وَهُوَ بِالْجِيم، فضبطه بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَة، وَكَثِيرًا مَا يَجْعَل عبد الله عبيد الله وَعَكسه"(١٠٨).
- ذمه بالتحريف، والتصحيف، وعدم إتقانه شروط الرواية والنقل بقوله: "انتدب لهذا الفن الشريف من اشتمل على التحريف والتصحيف، لعدم إتقانهم شروط الرواية والنقل، وائتمانهم من لا يوصف بأمانة ولا عقل، بل صاروا يكتبون السمين مع الهزيل، والمكين مع المزلزل العليل، ولو سودت ما وقع لشيخ المؤرخين التقي المقريزي لقضيت العجب، وتجنبت لتصانيفه الطلب"(١٠٩).
- قلة ضبط السند بقوله: "بل وَبَلغنِي أَنه جعل أَبَا طَاهِر بن محمش رَاوِي الحَدِيث المسلسل بالأولية حِين حدث بِهِ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَة بدل الْمُهْملَة"(١١٠).
- جرحه في الرواة المتأخرين دون دليل بقوله: "وَأما فِي الْمُتَأَخِّرين، فقد انْفَرد فِي تراجمهم بِمَا لَا يُوَافَقُ عَلَيْهِ، كَقَوْلِه فِي ابْن الملقن أَنه كَانَ يسيء الصَّلَاة جدًّا"(١١١).
- اعتماده على رواة غير موثقين، مع عدم ذكرهم بقوله: "كَانَ مَعَ ذَلِك يكثر الِاعْتِمَاد على من لَا يوثق بِهِ من غير عَزْو إِلَيْهِ، حَتَّى فعل ذَلِك فِي نسبه، فَإِن مُسْتَنده فِي كَونه من العبيديين كَونه دخل مَعَ وَالِده جَامع الْحَاكِم، فَقَالَ لَهُ: يَا وَلَدي هَذَا جَامع جدك. لَا سِيمَا وَمَا قَالَه ابْن رَافع فِي نسبه عبد الْقَادِر

جده أَنْصَارِيًّا يخدش فِي هَذَا"(١١٢).

- اعتماده على من اشتهر بالكذب: "لم يكن يتَجَاوَز فِي تصانيفه فِي سِيَاق نسبه عبد الصَّمد ابن تَمِيم، وَإِن أظهر زِيَادَة على ذَلِك فَلِمَنْ يَثِق بِهِ، ثمَّ رَأَيْت مَا يدل على أَنه اعْتمد فِي هَذِه النِّسْبَة العرياني الْمَشْهُور بِالْكَذِبِ"(١١٣).
- تصنيفه لمن يشتهر بالكذب بالحافظ بقوله: "وَمن يصف من يكون كَذَلِك بِالْحَافِظِ يُرِيد الِاصْطِلَاح فقد جازف، وَمَا أحسن قَول بَعضهم مِمَّا فِي بعضه توقف"(١١٤).
- قلة مهارته في معرفة الرجال والجرح والتعديل ونحوها من أدوات النقد التاريخي بقوله: "أما الوقائع الإسلامية، وَمَعْرِفَة الرِّجَال وأسمائهم، وَالْجرْح وَالتَّعْدِيل، والمراتب وَالسير، وَغير ذَلِك من أسرار التَّارِيخ ومحاسنه، فَغير ماهر فِيهِ، وَكَانَت لَهُ معرفَة قَلِيلَة بالفقه والْحَدِيث والنحو، واطلاع على أَقْوَال السّلف"(١١٥).
- نسيانه بعض الرواة بقوله: "وَأخْبر أَنه سمع فضل الْخَيل للدمياطي على أبي طَلْحَة الحراوي مرَّتَيْنِ، فاعتمدوا إِخْبَاره بذلك، وَقُرِئَ عَلَيْهِ مرّة، بل كتب بِخَطِّهِ قبيل مَوته بِسنة أَنه لَا يعلم من يُشَارِكهُ فِي رِوَايَته". ووصل الأمر إلى التشكيك في لقائه بالحراوي: "وَرَأَيْت بِخَط صاحبنا النَّجْم بن فَهد أَنه حضر فِي الرَّابِعَة على الحراوي، وَمَا علمت مُسْتَنده فِي ذَلِك"(١١٦).
- اتهمه بأنه نسب كتاب الأوحدي في خطط مصر إليه بقوله: "وَصَارَت لَهُ فِيهِ جملَة تصانيف، كالخطط للقاهرة، وَهُوَ مُفِيد، لكَونه ظفر بمسودة الأوحدي كَمَا سبق فِي تَرْجَمته، فَأَخذهَا، وزادها زَوَائِد غير طائلة"(١١٧).وقال أيضًا: "جمع خططها المقريزي، وهو مفيد، قال لنا شيخنا: إنه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي، بل كان بيض بعضه، فأخذها، وزاد عليه زيادات، ونسبها لنفسه"(١١٨).

- ذمه في امتداحه تاريخ ابن خلدون بقوله: "وكذا مدح تاريخ ابن خلدون صاحبه التقي المقريزي، وقال عن مقدمته: لم يعمل مثالها، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، واستمر يبالغ، ولم يوافقه شيخنا إلا في بعض دون بعض، وحقق أنه لم يكن مطلعًا على الأخبار على جليتها، لا سيما أخبار المشرق، وهو بين لمن نظر في كلامه، وكذا جمعه"(١١٩).

كذلك انتقده تلميذه ابن تغري بردي في أمرين هما:

- تعصبه لمذهبه بقوله: "إلا أنه كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم، لميله إلى مذهب الظاهر." (١٢٠).
- وجود بعض الأخطاء في مصنفاته بقوله: "وقرأت عليه كثيرًا من مصنفاته، وكان يرجع إلى قولي فيما أذكره له من الصواب، ويغير ما كتبه أولًا في مصنفاته"(١٢١).

ورغم نقد السخاوي للمقريزي إلا أن المؤرخين والباحثين المحدثين لم يعولوا على نقده، ولعل ذلك يعود لما اشتهر به السخاوي من النقد اللاذع؛ لذا وقف العديد منهم موقف المدافع عن المقريزي، وأشادوا بإنجازاته وإنتاجه التاريخي، فقال عنه الدكتور محمد مصطفى زيادة محقق كتاب "السلوك": (...عميد المؤرخين السالفين جميعًا من ابن عبد الحكم إلى الجبرتي...)(١٢٢)، وذكر فرانز روزنثال أن المقريزي ممن جمع بين العمل السياسي والفكر(١٢٣)، وهو من أبرز المؤرخين المسلمين الذين اتجهوا إلى الكتابة التاريخية بصفتهم محترفين، ولم يكن هدفه من التأليف في الغالب الكسب المادي بالدرجة الأولى(١٢٤).

وقد امتدحه الدكتور جمال الدين الشيال المقريزي بأن كتاباته تدل على "قراءة واسعة، ومعرفة مثبتة، وفكر واضح ومنظم، ومنهج علمي سليم" وقد ساعده على ذلك عدة أمور؛ منها امتلاكه مكتبة ضخمة تحوي الكثير من الكتب، وتوليه عددًا من الوظائف، واشتغاله بعلم التاريخ(١٢٥)، وهذا حقيقة بالفعل؛ حيث ساهم كل ذلك في تبلور فكر المقريزي، ولكن أخالفه الرأي في أن اشتغال المقريزي بعلم

الحديث الذي يعتمد على منهج الجرح والتعديل في أنه كان من الأمور التي ساعدته في منهجه التاريخي[١٢٦]، فلم يذكر ابن حجر أو السخاوي أنه برع في علم الجرح والتعديل، بل ذكر ابن حجر أنه كان محبًّا للحديث[١٢٧]، إضافة إلى أنه اتهم بمذهب ابن حزم، ولكنه لا يُعرف به، أما السخاوي فقد ذكر أن المقريزي غير ماهر في علم الجرح والتعديل، ومعرفته قليلة في علم الحديث كما أسلفنا[١٢٨].

كذلك دافع الأستاذ محمد عنان عن المقريزي، ورد على التهم التي وجهها السخاوي له؛ موضحًا أن المقريزي ذكر مصادره، وهناك فرق بين الاختلاس والانتفاع، وقد أشار إلى أن هذا الاتهام لم يعول عليه الكثير من الباحثين في دوائر البحث سوى إشارة من بعض المستشرقين أمثال كارل بروكلمان عند ترجمته للمقريزي في دائرة المعارف الإسلامية دون دليل يستند عليه[١٢٩]، ومهما يكن من أمر فإن ذكر المقريزي انتفاعه من مسودة الأوحدي في كتاب الخطط عندما ترجم له في مصنفه [١٣٠] دليل كافٍ لنفي التهمة عنه، وهو دليل أيضًا على أمانته العلمية، فضلًا عن حفظه مسودة الأوحدي مصدرًا مفقودًا أرخ لمصر وخططها من العصر الإسلامي إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث إن المسودة كانت كبيرة، كما أكد ذلك ابن حجر في ترجمته للأوحدي بقوله: "...وكان شهاب الدين هذا لهجًا بالتاريخ، وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة، بيض بعضه، وأفاد فيه، فأجاد، وله نظم كثير"[١٣١].

الخاتمة:

بعد هذا العرض لموضوع منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي يمكنني أن ألخص أهم النتائج في النقاط التالية:

- رسم المقريزي مع مؤرخي الحوليات في القرن التاسع منهج البحث التاريخي،

فظهرت الخطوط العامة للكتابة التاريخية جليةً، فبدأ كتابه "السلوك" بمقدمة وضح فيها منهجه، وطريقة تناوله الموضوع، وسبب تأليفه الكتاب، وأهميته، وبذلك كان من مؤسسي مدرسة الكتابة التاريخية الموسوعية.

- جمع المقريزي في كتابه "السلوك" عددًا من سمات الكتابة التاريخية، كان من أبرزها أسلوب الاستطراد، إضافة إلى منهج التحليل التاريخي والوصفي، واستخدم أسلوب التعليل، والاستنتاج، والإحالة، والاقتباس، والاستشهاد من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأبيات الشعر، وأقوال العلماء ونحوهم، مع دقة الإيجاز الذي ظهر في مواطن كثيرة في كتاب "السلوك".
- مارس المقريزي المنهج الإحصائي (الكمي)، حيث إنه أحصى ما حدث من وقائع وأخبار ونحوها طوال قرنين وثلاثة أرباع القرن، وهي مدة طويلة، وبذلك استطاع في كتاب "السلوك" تطبيق المنهج الإحصائي التاريخي بكل دقة.
- وضع المقريزي في كتابه "السلوك" من خلال استخدام المنهج الحولي نموذجًا متقدمًا للدراسات البينية، فجمع بين علم التاريخ والعلوم الأخرى؛ مثل علم السياسة، وعلم الاقتصاد، والإحصاء، والعلوم الطبيعية، والإنسانية، ونحوها، والتي جاءت عرضًا في مؤلفه.
- تميز المقريزي بأسلوبه النقدي الذي مارسه معظم المؤرخين المسلمين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وظهر في كتاباته التاريخية، فنقد المجتمع والاقتصاد والسياسة.
- حاول المقريزي من خلال كتاب "السلوك" وفي ثنايا صفحاته تحقيق الهدف من البحث التاريخي، وهو الوصول إلى معرفة تاريخية لإصلاح الحاضر واستشراف المستقبل، وهي مرحلة متقدمة من منهج الكتابة التاريخية.
- تنوعت مصادر المقريزي في كتاب "السلوك" بين المصادر المكتوبة في

مختلف العلوم والأدب والتاريخ والجغرافيا ونحوها، وبين الروايات الشفهية، والاعتماد على الكتب والمراسلات السياسية والوثائق، إضافة إلى كونه شاهد عيان لبعض الحوادث التي عاصرها، إلا أنه أغفل بعض المصادر التي استقى منها معلوماته، وهذا ما عرَّضه للنقد.

- من أهم العوامل التي أثرت في منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي تلقيه العلم على يد أشهر العلماء والمؤرخين في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، يأتي في مقدمتهم ابن خلدون، فظهر جليًّا اعتماده على مبدأ السببية والنقد التاريخي، إضافة إلى كونه شاهد عيان على أحوال الدولة المملوكية التي عاصرها، فناقش أغلب المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في عصره، إضافة إلى تأثير الوظائف التي تقلدها في شخصيته وفكره ومنهجه التاريخي.
- أثارت مؤلفات المقريزي إعجاب عدد من المستشرقين، فوصفه "فرانز روزنثال" بأنه مؤرخ محترف ومتفرغ للكتابة التاريخية.
- حظي المقريزي بمركز علمي مرموق بين المؤرخين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكانت له منزلة عالية عند الملوك والسلاطين والأمراء وعلية القوم، ومع كونه من أهم مؤرخي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلا أنه لم يسلم من النقد.
- لم يعول المؤرخون والباحثون المحدثون على نقد السخاوي للمقريزي، ووقف العديد منهم موقف المدافع عنه، وأشادوا بإنجازاته وإنتاجه التاريخي، وفي الحقيقة يكفي المؤرخ المقريزي إنجازًا تاريخيًّا أنه حفظ للأمة من خلال مؤلفاته تاريخًا خالدًا عدة قرون؛ إما نقلًا أو إضافة مع قلة الإمكانيات المتوفرة في عصره.

التوصيات:

- دراسة منهج المقريزي في كتاب "السلوك" في رسالة علمية لأهمية كتاب "السلوك" الذي يعد من أهم مصادر التاريخ في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.
- دراسة منهج الكتابة التاريخية الموسوعية لدى المؤرخين المسلمين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين كنموذج متقدم للدراسات البينية.

وأخيرًا بعد هذا، أرجو أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع، وأسأل الله التوفيق والسداد.

الهوامش:

(١) ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٨م). **إنباء الغمر بأنباء العمر**. تحقيق حسن حبشي. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ١٨٧/٤؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م). **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**. تحقيق محمد محمد أمين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٤١٥/١-٤٢٠؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م). **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ٢١/٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م). **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ٥٥٧/١.

(٢) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ٤١٥/١-٤٢٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢١/٢.

(٣) **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨.

(٤) **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨؛ **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥.

(٥) **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥.

(٦) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ٤١٥/١-٤٢٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢١/٢. ذكر السيوطي أنه ولد في سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ٥٥٧/١.

(٧) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ٥٥٧/١.

(٨) إنباء الغمر، ١٨٧/٤-١٨٨.

(٩) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م). **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين. القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ٦٣/١ -٦٨.

(١٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥.

(١١) **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨؛ **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥.

(١٢) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥.

(١٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥.

(١٤) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ٥٥٧/١.

(١٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/ ٢١- ٢٥.

(١٦) **إنباء الغمر**، ١٨٧/٤-١٨٨؛ **الضوء اللامع**، ٢١/٢-٢٥. ذكر السيوطي أنه توفي في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م، وما ذكر أعلاه هو الأرجح. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ٥٥٧/١.

(١٧) فرانز روزنثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة: صالح أحمد العلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص٥٨-٦١.

(١٨) محمد مصطفى زيادة وآخرون، **دراسات عن المقريزي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م. ص ٧-١٩.

(١٩) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وآخرون، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، مقدمة المحققين، ١/هـ- س؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، ترجمة: صالح أحمد العلي، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م. ص٢٢٩، ٢٦٦.

(٢٠) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص ٢٩٧.

(٢١) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ٤١٥/١-٤٢٠.

(٢٢) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، تحقيق: نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مقدمة المحقق، ٩/١-١١.

(٢٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، بيروت:

دار صادر، (د. ت)، ٣٨٣/٢.

(٢٤) عبد الرحمن البدوي، **مناهج البحث العلمي**، القاهرة: دار النهضة العربية، ط ٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م، ص ٥.

(٢٥) رجاء وحيد دويدري، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥١.

(٢٦) محمد مصطفى زيادة وآخرون، **دراسات عن المقريزي**، ص ٧-١٩.

(٢٧) **السلوك**، مقدمة المحقق، ١/ن-س؛ السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص ٧٧، ٢٢٩، ٢٦٦.

(٢٨) المقريزي، **السلوك**، ٣/١.

(٢٩) **السلوك**، ٣/١.

(٣٠) **السلوك**، ٩/١.

(٣١) المقريزي، **السلوك**، هامش المحقق رقم ٣، ٩/١.

(٣٢) المقريزي، **السلوك**، ٩/١.

(٣٣) **السلوك**، ٩/١-٤١.

(٣٤) انظر، **السلوك**، حسب تأريخ سنوات حكم السلطان المدون في الجدول.

(٣٥) **السلوك**، ٤١/١.

(٣٦) المقريزي، **السلوك**، ٤٤/١-٤٦، ٨٥٨/٤.

(٣٧) المقريزي، **السلوك**، ٤٤/١-٤، ٦٢٩/٤٦-٦٣٠، ٦٤٢.

(٣٨) المقريزي، **السلوك**، ٤٤/١-٤٦، ٧٠-٧٥، ٧١.

(٣٩) المقريزي، **السلوك**، ٤٤/١-٤٦.

(٤٠) المقريزي، **السلوك**، ١٠٨/١.

(٤١) **السلوك**، ١٥٣/١.

(٤٢) المقريزي، **السلوك**، ١٥٧/١.

(٤٣) الأوبئة: مفردها الوباء، ويطلق في الغالب على الأمراض سريعة الانتشار التي تعم معظم الناس، مثل الطاعون، وكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونًا. (ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي

(ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)، **الطب النبوي**، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون، بيروت: دار الفكر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ص٢٩-٣٠.

(٤٤) المقريزي، السلوك، ١/١٥٦.

(٤٥) المقريزي، السلوك، ١/١٥٧.

(٤٦) المقريزي، السلوك، ١/٥٠، ٦٤ - ٧٥ -١٦٠- ١٨٠، ٢١٢، ٤٠٩، ٣٨٣-٤٧٦،٧٦٣-٧٧٧.

(٤٧) المذهب: يقصد به في الاصطلاح المذاهب الفقهية الأربعة، وقد ذهب جمهور العلماء إلى تسمية النحل والفرق الخارجة عن دائرة أهل السنة والجماعة بالمذاهب العقائدية، وهي تأتي بمعنى النحلة والفرقة، وليس بمعنى المذهب الفقهي، وهذه المذاهب والفِرق كثيرة، منها المذهب الشيعي بطوائفه، البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٦.

(٤٨) الصوفية: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري، وهو ما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صارت لهم طريقة تميزهم معروفة باسم "الصوفية" انتشرت في عدد من بلدان العالم الإسلامي، إلا أن بعض غلاة الصوفية جانَب طريق الحق، فظهرت لديهم بعض الانحرافات العقدية والفكرية التي تصدى لها علماء المسلمين. (مانع بن حماد الجهني وآخرون، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٤١-٣٥٣).

(٤٩) المقريزي، السلوك، ١/٦١-٦٢،١٠١، ١٦٣-١٩٠، ٤/٢٩٣.

(٥٠) هشام عزت علي عنبر، **موقف بعض مؤرخي القرن التاسع الهجري من الشيعة والتشيع**، جامعة دمياط، المجلة العلمية لكلية الآداب، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م، مج ١١، ع ٢، ص ١-١٨.

(٥١) المقريزي، السلوك، ١/٦٣،٧٢، ١٦٨، ١٨٠.

(٥٢) المكوس: جمع مكس، وهي الضريبة التي يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار.

(أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دمشق: دار الجيل، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٤٣٦؛ شوقي ضيف وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط ٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.ص ٨٨١).

(٥٣) المقريزي، السلوك، ١/٦٤، ٧٤، ١٧٥،١٧٧،١٨٠، ٥٧٩-٥٨٢، ٧٢٤-٧٢٦؛ ٢/٢٣٦؛ ٤/٧٥ – ٧٦،٨٤، ٣٤١-٣٤٢،٧٠٦- ٧٠٩، ٨٥٨.

(٥٤) المقريزي، السلوك، ١/٦٤،٦٦، ٧٨-٧٩ ؛٤/٥٣٩، ٨٥٤-١٢٢٨،٨٥٥.

(٥٥) المقريزي، السلوك، ١/١٦٢.

(٥٦) المقريزي، السلوك، ١/٨.

(٥٧) المقريزي، السلوك، ١/٤٢.

(٥٨) المقريزي، السلوك، ١/٢٢.

(٥٩) المقريزي، السلوك، ١/٤١.

(٦٠) المقريزي، السلوك، ٤/٢٠٢.

(٦١) المقريزي، السلوك، ١/ ١١- ١٢.

(٦٢) المقريزي، السلوك، ٤/٩٥٣.

(٦٣) المقريزي، السلوك، ١/٩- ٢٢.

(٦٤) المقريزي، السلوك، ١/٥٦،٥٨.

(٦٥) المقريزي، السلوك، ١/٥٤-٥٥.

(٦٦) المقريزي، **السلوك**، ٣/٨٢١.

(٦٧) المقريزي، **السلوك**، ١/٩٢-٩٣.

(٦٨) المقريزي، **السلوك**، ١/٦٤-٦٥.

(٦٩) المقريزي، السلوك، ١/٤٦.

(٧٠) المقريزي، **السلوك**، ١/٦٥.

(٧١) **السلوك**، ١/١٩٧-١٩٨.

(٧٢) المقريزي، السلوك، ٤/٨٥٨.

(٧٣) المقريزي، السلوك، ١/٧-٨.

(٧٤) المقريزي، السلوك، ١/٤٠٩-٤١٠.

(٧٥) المقريزي، السلوك، ٤/ ٢٩٠-٢٩١.

(٧٦) المقريزي، السلوك، ١/٤٩.

(٧٧) المقريزي، **السلوك**،١/٥٢؛ ٢/٧١.

(٧٨) المقريزي، **السلوك**، ١/١١٢.

(٧٩) المقريزي، **السلوك**، ١/٧١.

(٨٠) المقريزي، **السلوك**، ٣/٨٢٠.

(٨١) المقريزي، السلوك، ٤/٧٣٤.

(٨٢) المقريزي، السلوك، ٤/٤٥٥.

(٨٣) المقريزي، السلوك، ١/١٠٨.

(٨٤) المقريزي، السلوك،٤/٥٢٣.

(٨٥) المقريزي، السلوك، ٢/٩٢٦-٩٢٧.

(٨٦) المقريزي، السلوك، ١/١٦٢، ٤/٢٧٩-٢٨٠، ٢٩٤-٢٩٧.

(٨٧) السلوك، ١/١٣-٢٢.

(٨٨) المقريزي، السلوك، ١/٤١-٤٢.

(٨٩) المقريزي، السلوك، ١/٩٤.

(٩٠) المقريزي، السلوك، ١/١٠٦.

(٩١) المقريزي، السلوك، ٢/٦٤١.

(٩٢) المقريزي، السلوك، ١/٧٤.

(٩٣) المقريزي، السلوك، ١/٨٧.

(٩٤) المقريزي، السلوك، ١/٨٠.

(٩٥) المقريزي، السلوك، ١/١٠٦.

(٩٦) **المنهل الصافي**، ١/٤١٥-٤٢٠.

(٩٧) **التبر المسبوك**، مقدمة المحقق، ١/٩-١١.

(٩٨) **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(٩٩) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص ٦٤.

(١٠٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١٠١) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١٠٢) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ١/٤١٥-٤٢٠.

(١٠٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ١٥/٤٩١.

(١٠٤) **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١٠٥) النجم ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد الهاشمي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٤/٥٥.

(١٠٦) سبط ابن العجمي، موفق الدين، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت ٨٨٤ هـ / ١٤٨٠ م)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، تحقيق: شوقي شعث وفالح البكور، حلب: دار القلم العربي، ١٤١٧-١٤١٨هـ / ١٩٩٦-١٩٩٧ م، ٢/٢٦٨.

(١٠٧) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ١/٤١٥-٤٢٠.

(١٠٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١٠٩) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص١٠٥.

(١١٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١١) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١١٨) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص ٢٦٦.

(١١٩) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص ٢٩٦.

(١٢٠) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ١/٤١٥-٤٢٠.

(١٢١) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ١/٤١٥-٤٢٠.

(١٢٢) **دراسات عن المقريزي**، ص٨.

(١٢٣) **علم التاريخ**، ص٥٨-٦١.

(١٢٤) **علم التاريخ**، ص٧٨-٨٣.

(١٢٥) محمد مصطفى زيادة وآخرون، **دراسات عن المقريزي**، ص٢٨.

(١٢٥) محمد مصطفى زيادة وآخرون، **دراسات عن المقريزي**، ص٢٨.

(١٢٦) **إنباء الغمر**، ٤/١٨٧-١٨٨؛ **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١٢٧) **الضوء اللامع**، ٢/٢١-٢٥.

(١٢٨) محمد مصطفى زيادة وآخرون، **دراسات عن المقريزي**، ص٤٠-٤٨.

(١٢٩) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/١٨٥-١٨٩.

(١٢٩) **إنباء الغمر**، ٢/٤٠٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):

- الفرق بين الفرق، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م،

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين. القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. تحقيق: محمد محمد أمين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

- إنباء الغمر بأنباء العمر. تحقيق: حسن حبشي. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

سبط ابن العجمي، موفق الدين، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت٨٨٤هـ/١٤٨٠م).

- كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث وفالح البكور، حلب: دار القلم العربي، ١٤١٧-١٤١٨هـ/ ١٩٩٦-١٩٩٧م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ. ترجمة: صالح أحمد العلي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، تحقيق:

نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد الهاشمي (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م):

- الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون، بيروت: دار الفكر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وآخرون، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م):

- لسان العرب، بيروت: دار صادر، (د. ت).

ثانيًا- المراجع والدراسات الحديثة

أحمد الشرباصي

- المعجم الاقتصادي الإسلامي، دمشق: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

رجاء وحيد دويدري

- البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، بيروت: دار الفكر المعاصر،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

شوقي ضيف وآخرون

- المعجم الوسيط، ط ٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

عبد الرحمن البدوي

- مناهج البحث العلمي، القاهرة: دار النهضة العربية، ط ٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

فرانز روزنثال

- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

مانع بن حماد الجهني وآخرون

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

محمد مصطفى زيادة وآخرون

- دراسات عن المقريزي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

هشام عزت علي عنبر

- موقف بعض مؤرخي القرن التاسع الهجري من الشيعة والتشيع، جامعة دمياط، المجلة العلمية لكلية الآداب، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.